هواوية الحكاية الشعبية المغربية "بهوت النسا" -أنموذجا-

أ. سهام أوصيف

أ.د. السعيد بوطاجين

جامعة عباس لغرور -خنشلة-

الملخص:

"**بهوت النسا**" حكاية شعبية من حكايا الفلكلور المغربي تجسّد بعدا رمزيا كثيفا يفتح إطلالة على مخيال تراثي مغربي اجتماعي تقليدي طقوسي، تسمح باكتشاف بعدا أخلاقيا قيميا، ترسّخها نماذج من علاقات إنسانية ترسخ الحب، التضحية... كقيم إيجابية، والخيانة والمكر كقيم سلبية...، عمد البحث إلى مقاربتها مستعينا بإستراتيجية سيمياء الأهواء كإجراء نقدي ما بعد حداثي عربي لاستكناه خباياه ومضمراته.

الكلمات المفتاحية: السرد المغربي - سيمياء الأهواء-سيمياء العمل.

abstract:

"**بهوت النسا**" is a folk tale of the Morrocan folklore tales.It embodies a highly symbolic dimension that opens the view of the imaginary Moroccan heritage social, traditional and rutual. It allows for the discovery of a valuable ethical dimension wich is rooted in a pattern of human relationships.It stabilizes love and sacrifice...as positive values or betrayal and deception ...as negative values. The research aims to approach it using Sémiotic passions strategy as a critical procedure post modern and try to adapt it and the Arabic culture to explore the content and the hidden of the text.

key words: Moroccan narrations- Sémiotic passions- Sémiotic act

أولا_ سيميائيات العمل وسيميائيات الأهواء:

أصبحت **السيميائيات** منذ الخمسينيات من القرن الماضي، في المجال الأدبي خاصة، تيارا فكريا مميزا أثرى الممارسة النقدية المعاصرة وأمدّها بأشكال فريدة لتصنيف الوقائع الأدبية وفهمها وتأويلها.[1]

إن الحديث في هذا الموضوع يحيل إلى **ألجيردا جوليان غريماس** Aljirda Julien Greimas الذي يتوخى بدوره تقديم خطاطة نظرية للاتجاه المقترن باسمه، رفقة مجموعة من الباحثين ، من أمثال: **جوزيف كورتيس** Josef Courtès، **جان كلود كوكي** Gean Claude Coquet، **جاك فونتنيي** Jacque Fontanille...،الذين كرّسوا حياتهم لتأسيسه والتعريف به، غير أن ما اندسّ في كتب : **أ.ج. غريماس** أهّله لممارسة تأثير قوي وعميق ،أو لنقُل لمسة سحرية مبهرة في النقد المعاصر، وفي النحو الإبستمولوجي السيميائي بوجه خاص، وجعله جديرا لاحتلال منزلة الرّيادة للسيميائية الفرنسية دون منازع.

تقوم السيميائيات على البحث فيما وراء المعنى، وتهتم بكيفية إنتاج النصوص، ومحاولة إيجاد أجوبة شافية لتساؤلات محيّرة كثيرا ما يطرحها عليها "يحدث كل هذا وكأن الأسئلة المطروحة على النص، حلّت وتغيّرت، فهي ليست ماذا يقول النّص؟ ولا من يقول هذا النص؟ ولكن: كيف يقول النص ما يقوله؟[2]. و لانطلاق البحث السيميائي من النّص واعتباره المعنى كأثر ونتيجة، فإن الإشكالية التي تتحدّد عن طريق العمل السيميائي تدور حول سير الدّلالة في النص، وليس حول العلاقة التي يمكن أن تربطه بأيّ عنصر خارجي عنه (المرجع والمؤلف)" المعنى سيعتبر إذن كأثر وكنتيجة مستخلصة بواسطة لعبة العلاقات بين العناصر الدالة"[3] ، ويتحقق ذلك إذا تعرّف على هذه الوحدات المشكلة للنص كنسق وكبنية.

وتسعى السيميائيات إلى دراسة الدلالة من الداخل، ولذلك فهي تعتمد على **مبدأ المحايثة(** immanence) الذي كرّسه "**دي سوسير**" وتبناه **يالمسليف** في الاتجاه نفسه، ليؤكد على ضرورة اعتبار موضوع اللسانيات شكلا، وإبعاد الوقائع غير اللسانية عن موضوع الدراسة، وقد تبناه **أ.ج.غريماس** لصياغة بحوثه السيميائية، لأن ما يهم السيميائي **كغريماس** في تناوله للنصوص، هو الشروط الدّاخلية للمعنى؛ "إذ يجب اعتماد التحليل المحايث المقتصر على فحص الاشتغال النّصّي لعناصر المعنى دون اعتبار للعلاقة التي يقيمها النص مع أي عنصر خارجي.

كما يقوم المعنى على **مبدأ الاختلاف** (Différence) الذي يسير العلاقات القائمة بين العناصر الدّالة، وتُكوِّن هذه العناصر من خلال تقييم وبناء هذا الاختلاف ولأن الإجراء السيميائي يصبو إلى وصف شكل المعنى فهو تحليل بنيوي، ولأن المعنى يقوم على الاختلاف فإن وظيفة التحليل السيميائي للنصوص هي محاولة استقرائه ووصفه؛ لكن: أين يتم ذلك(في أيّ مستوى) وبين أيّة عناصر يتعرّف على هذا الاختلاف؟

يتم وصف الاختلافات الظاهرة عند وصف التركيبة السرديّة للخطاب، نحو: تتبع تطور وتنامي شخصية ما في النص، فهي تظهر كتتالي حالات مختلفة، وبذلك يظهر النّص كتتالي وتتابع حالات وتحولات بينها، انطلاقا من مستوى التركيبة السردية.[4]

يعد الإجراء السيميائي تحليلا للخطاب، وهذا ما يميّز السيميائيات النّصية (**Textuelle**) عن اللسانيات البنيوية (الجملة **phrastique**)؛ فإذا كانت اللسانيات تهتم بإنتاج الجمل وبالكفاءة الجملية**Compétence phrastique**)، فإن السيميائيات تهتم بتنظيم وإنتاج الخطابات والنصوص(الكفاءة الخطابية **Compétence discursive**).

كما استعان **أ.ج. غريماس**- رائد هذا الاتجاه- بالمنطق فاستغلّ مفهوم علاقات: التضاد، التناقض، التضمين، وعمليات النفي والإثبات التي تحيل إلى خلق فواعل وعوامل تمّ استثمارها لتنتج خطابا مركزيا، وبغية الوصول إلى نظام الوحدات الذي ينتج عبره النص، وميّز **أ.ج.غريماس** في معالجته للقصة بين مستويين مشكلين للمسار التوليدي في التحليل "فاعتبر أن التحليل عليه أن ينظر في مستويين اثنين:

-المستوى السطحي (الظاهر)Niveau de surface

-المستوى العميق(الكامن)Niveau de profonde

في المستوى السطحي سيكون لزاما رصد تركيبتين اثنتين تقعّدان لنظام العناصر المعروفة بانتمائها لهذا المستوى: **أ-تركيبة سردية**: تضبط، كما سنرى، التوالي والترابط الخاص بالحالات والتحوّلات.

ب-تركيبة خطابية: تضبط في نص ما الترابط الخاص بالصور ومولدات المعنى.

وفي المستوى العميق هناك مخططان اثنان للنظام يسخّران لضبط العناصر المعروفة بانتمائها لهذا المستوى:

أ-شبكة علاقات تنجز تصنيفا لقيم المعنى حسب العلاقات التي تقيمها.

ب-نسق عمليات أو إجراءات ينظم الانتقال من قيمة لأخرى."[5]

وهناك من يشكلن المسار التوليدي في ثلاث حالات: مستوى العمق مع بنيته الدلالية الأولية والمربع السيميائي -وهي بنية مجرّدة-، مستوى السطح أين تتجوّل البنية الأولية إلى بنية سردية مع برامجها السردية المساعدة والرئيسية، وبنية العاملين-وهي بنية بين المحايثة والجلاء- ومستوى الخطاب (التمظهر)-وهي بنية متجلية- حيث يتحوّل كل ذلك إلى شيء محسوس مثل خطاب شفهي أو نص أدبي أو لوحة فنّية...وافترض **أ.ج.غريماس** تمفصل هذه المستويات بعضها ببعض وتساويها في المعنى.[6]

أدرك **أ.ج.غريماس** ورفقاؤه اعتماد الدراسات السابقة على البعد المعرفي والتداولي للخطابات، ما ترك فراغا تمثّل في إهمال الأحاسيس والعواطف التي تحتل مكانا هاما في الخطابات الأدبية بهدف دراسة بنيات اشتغال الأشكال التعبيرية المختلفة، التي تعنى بدراستها السيميائيات، وهذا الشكل من الظاهراتية العلمية أدّى بالدارسين إلى نسيان

الدّلالات الإنسانية.[7] و أفضى إلى جملة من التساؤلات المحيّرة: ماذا عن العواطف والأهواء المعترية للذات الفاعلة قبل إنجازها للعمل؟ كيف يمكننا أن نحلل الغضب والغيرة والبخل والتغيّرات التي قد تحدثها هذه العواطف في سياق الأفعال المستقيمة للبرنامج السردي؟[8]

وهكذا جاءت **سيميائيات الأهواء** كامتداد **للسيميائيات العامة(العمل)**؛ إذ يمكن التمييز بين مقاربتين سيميائيتين لإشكالية الأهواء (العواطف):

المقاربة الأولى: تقرّ بانبثاق سيمياء العواطف من سيمياء العمل(الحدث)، وتتخذ نماذجها كمنطق بحث **أ.ج. غريماس** مقاله المعنون **بـ" جهات الذّات"**(دراسة تكييفات الذات الاستهوائية، باستحضار منطق الجهات: القدرة، الإرادة، الرغبة، والواجب،[9] وعرفت التجديدات الأساسية في التسعينيات من القرن العشرين(**1994-1991**) موضوع بحث كتاب **سيمياء الأهواء (Sémiotique des passions) لـغريماس وفونتاني 1991** المعتمد في هذا البحث.

المقاربة الثانية: تقر بانبثاق البعد الأهواوي (العاطفي) من الوضع المميز لـذات العاطفة **(Sujet de la passion)**، بالمقاربة مع ذات المحاكمة**(Sujet de jugement)**، وبالاعتماد على مختلف أشكال الهوية الذاتية بدراسة الثنائية(هوى**Passion**/ عقل**Raison**) بإعادة وصفها انطلاقا من نشاط هذه الثنائية في الخطاب، موضوع بحث **ج.ك. كوكيت** في كتابه **السعي وراء المعنى(J.Cl.Coquete, La quête du sens 1997)**.

تحيل سيميائيات الأهواء على السيميائيات الذاتية أو الانفعالية وتتعلق بعالم الذات والهوى والانفعال وكل ما يتعلق بالرغبات والأهواء كالحب، الكراهية، السرور، والكدر... " ظاهرة الهوى كما يمكن أن تتجسد في صفات يتداولها الناس ويصنفون بعضهم بعضا استنادا إلى ممكناتها في الدلالة والتوقع الانفعالي؛ فالبخل والغيرة والحقد والحسد والغضب وغيرها من الصفات هي كيانات تعيش بيننا ضمن ما تحدّده **العتبات** التي يقيمها المجتمع ويقيس من خلالها **الفائض الكيفي** في الانفعال الموجود على جنبات **اعتدال**، هو ذاته ليس سوى صيغة مفترضة لايتحدد مضمونها إلاّ ضمن التّقطيعات الثقافية المخصوصة التي يتحقق داخلها هذا الهوى أو ذاك".[10]

وتهتم بدراسة الذات والانفعالات الجسدية والحالات النفسية، ووصف آليات المعنى، اشتغال المعنى داخل النصوص، بالتركيز على مكونين أساسيين يتولد عبرهما ما يعرف بـ**كينونة المعنى**: المكون التوتري(انعكاس العالم الطبيعي على الذات)، والمكوّن العاطفي أو الانفعالي(منبع الأحاسيس والعواطف) ومن ثم"يدرس الخطاب السيميائي مجمل الانزياحات الموجودة بين العاطفي والتوتري، برصد علاقة الذات الاستهوائية بالعامل الموضوع انجذابا واتّصالا ومقصدية، ويتمّ هذا التّفاعل الاستهوائي الإدراكي عن طريق فضاء الحس والجسد".[11]

يعد الانفعال(**Emotion**) من منظور سيمياء الأهواء اللبنة الأولى التي تؤسس وتمثل العالم الطبيعي، ولا يرتكز في هذه الحالة على ترجمة وتحويل المحسوس(**Sensible**) إلى

مدرك(**Intelligible**)، ولكن تحاول الوصول إليه من خلال التواترات التي تربطه بالمدرك، حيث يمكن الاعتماد على تنظيم يقوم على أساس العلاقة الرابطة بين التركيب الصيغي(رغبة انفعاليةVouloir pathémique) والقدرة على الفعل(**Pouvoir faire**)، وبين التركيب المزاجي(**phorique Complexe**) والمتمثل في المدة(**Durée**)، الإيقاع(**Rythme**) ودرجة السرعة(**Tempo**).[12]

ثانيا_ إستراتيجية سيمياء الأهواء:

يوضح **ج. فونتالي** أن الهوى ينتج في الخطاب عن تركيبين:

1-تركيبة صيغية تتمثل في العوامل والكفاءات.

2-تركيبة توترية تمثّل التوتّرات المختلفة التي تخضع لها الذّات خلال مواجهتها للحدث.

وهما وجهان لعملة واحدة، تتوضح العلاقة بينهما بالعلاقة التي تجمع ،في اللسانيات، بين الفونيمات والأداء (النبرة التي تؤدّيها)؛ فالفونيمات تمثّل تركيبات متقطّعة تُكوّن سلسلة سمعية مجرّدة تصاحبها النّغمة كمرافق توتّري لها مكوّن من نبر وتغيرات.[13]

وتسمى الظواهر المرافقة لسلسلة المكوّنات بالعوارض، وعليه فالتركيبة الصيغية من عوامل وكفاءات هي المكوّنات، أما التركيبة التوتّرية فهي العوارض(مايعتري الهوى من توتّرات عاطفية ودرجاتها المتنوعة)، إذن فكل من سيمياء العمل وسيمياء الهوى تشتركان في نوع المكونات نفسه هي الكفاءات، وتنفرد سيمياء الأهواء بعوارض خاصة، هي:[14]

-**الشّدة Intensité**: هي متغير يظهر عند التقييم –في اللسانيات-(الصيغة التّلفظية)؛ حين يتوجّب على الذات المتلفّظة إصدار رأي حول حدث أو فعل ما، مقيّما إيجابيا مثلا صدفة سعيدة، بحسب شدة الاهتمام لهذا الحدث المفرح. كما تعتبر الشدة الهوويّة (العاطفية) خاصية من خصائص المزاج؛ فهي تعمل على توجيه تدفّق الاهتمام إضافة إلى إعادة تنظيم المكونات التركيبية لتتحكم وتسيّر الجانب الدلالي من السلسلة، فتؤسس الكفاءات لما يسمّى بالهويّة الهوويّة(العاطفية).

-**الكمّية Quantité**: تتعلق بمجموع الإجراء العاطفي، وهي تابعة للذات والموضوع، إضافة إلى الانتشار في الفضاء والزمن، ويمكن للعارض الهووي (العاطفي) للكمية اتخاذ عدّة أشكال، ويقاس الامتداد فقط في حالة الانتشار في الفضاء والزمن، أما في حالة الموضوع، فالمقاس هو المعنيُّ بغية معرفة قيمة الموضوع، وهناك حالات تقطّع فيها الذّات الهوية(العاطفة) إلى أجزاء تحتفظ ببعضها وتخفي البقيّة؛ نحو: الذّات المغرمة التي عندما تركّز على بعض الصّفات الإيجابية وتخفي الأخرى من منطلق الحب أعمى...

-العلاقة بين الكميّة والشّدة:

تتشكل المدوّنة الهوويّة من انفعال (**Emotion**)، هوى أوعاطفة (**Passion**)،رغبة (**Inclination**)، وإحساس (**Sentiment**)، لكل منها مدّة وشدة معينة، وبالانتقال العكسي–أي من الإحساس إلى الانفعال –بزيادة الامتداد الزمني وانتظامه تنقص الشّدة، غير أنه يلاحظ

في حالة الهوس ارتفاع في الشّدة -على غير العادة- بسبب التكرار؛ إذ تشير مدة الهوس وشدّته إلى خطورته. ومن ثمّة تقدّر الشدّة الهووية (العاطفية) مقارنة بالكمية والعكس صحيح، كما تقرن المخطّطات التوترية للخطاب في جميع الحالات الشدة بالكمية (ميزة العقلانية الهووية أو العاطفية).[15]

يعتبر **ج.فونتالي** أن الهوى (العاطفة) في الخطاب خاضعة لما هو معيش، ويتحكم في تخطيط الهوى الممارسة العملية التلفظية كما هو الحال بالنسبة للأبعاد الأخرى، وعليه يكون المخطط النظامي الأهواوي (العاطفي) على النحو: [16]

الصحوة الهووية(العاطفية) Eveil passionnel الاستعداد Disposition المحور الهووي(العاطفي) pivot passionnel الإحساس أو التحسس sensibilisation التأديب(التقييم الأخلاقي) moralisation.

في المرحلة الأولى(الصحوة أو اليقظة العاطفية) تتعرّض الذّات الهوية لاستقبال تأثير أوّلي يحدث تغييرا في الشّدة والكمية، المرحلة الثانية تُتحدد نوع الهوى (العاطفة) وتتجاوز الذات مجرّد الانفعال البسيط؛ فالاستعداد هو اللّحظة التي تتشكل فيها الصورة العاطفية المتخيلة، وهو الذي سيحدث اللّذة أو العذاب، في المرحلة الثالثة يزود العامل بالدور العاطفي أو الانفعالي، فيحدث ما يعرف بالتحول العاطفي؛ فمثلا عندما تدرك الذات حضورا يهددها تحُس بالخوف الذي إمّا يتفاقم عندها فتصبح خائفة جبانة، أو تتم مواجهته فتكون شجاعة. أمّا مرحلة التحسّس يلاحظ نتيجة حضور المؤثّر ويتجاوب جسم العامل معه؛ ويتجسّد في شكل صراخ وبكاء مثلا في حالة الخوف، المرحلة الأخيرة هي نهاية مسار العامل فيظهر العامل العاطفة أو الهوى الذي تمكّن منه ليقيّم أخلاقيا.

يرى **ج. فونتالي** أنّ المخطط النظامي الأهواوي يندرج ضمنه عدّة مخططات توتّرية، هي: انطلاقا من انخفاض الشّدة في مرحلة الصحوة الهووية(العاطفية)، وهو يوزع صوره وأدواره في الامتداد تدريجيا لتشكّل **مخططا تنازليّا (Descendant)**، وانطلاقا من المحور الهووي العاطفي الذي يتركز في الإحساس، فهو يجمع ويسخّر كل الطاقات لأجل تعبير شديد (**مخطط تصاعدي Ascendant**)، ويقوم التّقييم النّهائي أخيرا بقياس المخطط النّظامي الأهواوي ومقابلته مع نظرة المجتمع، غير أن التّهذيب يمكن إما أن يحد من بريق العاطفة ويخّفض من مداه (**مخطط الخمود Atténuation**)، كما يمكن أن يشجع انتشارها في المجتمع ويساهم بهذا في مغالاتها وفي تعميمها(**مخطط التضعيف Amplification**).[17]

-المتن الحكائي:

بهوت النسا [18] حكاية شعبية من حكايا الفلكلور المغربي تجسّد بعدا رمزيا كثيفا يفتح إطلالة على مخيال تراثي مغربي اجتماعي تقليدي طقوسي، تسمح باكتشاف بعدا أخلاقيا

قيميا، ترسّخها نماذج من علاقات إنسانية ترسخ الحب، التضحية... كقيم إيجابية، والخيانة والمكر كقيم سلبية...

تروي بهوت النسا حكاية فتاة ابنة تاجر غنيّ، تحظى بجميع مظاهر الترف والرفاهية، غير أنّها تقع فريسة الحب؛ وتغرم بفقيه فقير يسكن بجوارهم، والأب الثّري لا يرضى بغير الغني المقتدر زوجا لابنته، ولتحقق الفتاة حلمها تلجأ لكتاب بهوت النسا الذي يضمن لها ذلك فتتزوج من الفقيه.

1-التمثيل الدلالي المعجمي للحكاية:

يحظى التمثيل الدلالي المعجمي بأهمية بالغة في سيمياء الأهواء، لأنه يضبط المدونة الهووية (العاطفية) التي تشخّص مختلف الدلالات التي تحملها الأهواء.

1-الخصائص التركيبية للأهواء:

تعتبر عملية تقطيع النّص خطوة ضرورية إجرائيا لتلمّس مختلف الدّلالات المعجمية في الحكاية نلج من خلالها إلى عوالم الأهواء والأحاسيس، لذا يمكن مفصلة **بهوت النسا** كالآتي:

-المقطع الأول:" كان لتاجر غني ابنة وحيدة جميلة ....وهو يرفض أن يزوجها إلاّ لشاب ثري من أسرة كبيرة."[19]، تميز هذا المقطع بظهور هووين(عاطفتين):

الهوى الأوّل: تمثّل في **الحب** الذي تمكّن من الفتاة الغنية ذات الحالة "واشتعل الحب في قلب الفتاة فتغيّر حالها، وعافت الطعام، وكثر شرودها، وأصابها الوهن، واعترفت لجاريتها بما تقاسيه من ضنى الحب وعذابه "وظلت الفتاة تراقبه، وتتبع خروجه ودخوله وحركاته وسكناته، وكانت دائما تحييه في الصباح ، وتقرأ السلام، وتنتهز الفرص لتراه"[20].

الهوى الثاني: تمثّل في **الحيرة والقلق والاضطراب،** الذي عانت منه ذات الحالة التي تبحث عن سبل تحقيق اللقاء بالحبيب فالزواج، خاصة أنّها قرّرت تغيير واقعها العاطفي بتحدي عادات المجتمع الذي يعتبر وقوع الفتاة في الحب أمرا عظيما، بل خرقا لتعاليم الدين الذي يحرص على غضّ البصر اتقاءً للفتنة، "لكن ما العمل؟ إن أباها تاجر غني ، وهو يرفض أن يزوّجها إلاّ لشاب ثري من أسرة كبيرة" أما الفقيه الشاب فلن تشفع له عند أبيها وسامته وسجاياه الطيّبة، وهي لا تقدر أن تعترف بحبها لأبيها".[21]

-الخصائص التركيبية لهوى الحيرة والقلق:

التمثيل الأول: ذات1 في علاقة فصل مع ذات 2 معناه عدم تحقيق موضوع القيمة؛ وهو اللقاء بالحبيب ذات 2 فالزواج، ويمكن اعتبار هوى الحيرة والقلق ناتجا عن البعد والوحدة، ومن مكونات هذا الهوى هوى الخوف الذي يعتري الفتاة ذات1، إذ كلما زادت حيرتها وقلقها زاد خوفها من عدم تحقيق حلمها بالارتباط (الزواج من الفقيه).

-المقطع الثاني:"أمّا الفقيه الشّاب فلن تشفع له عند أبيها وسامته وسجاياه.....وأخبرني حين تتم هذا العمل وأنا سأتدبّر لك خطّة"[22]

يفصح هذا المقطع عن أهواء متعددة أولها: **الحب** الذي يتمكّن من الشاب الفقيه" وكان الشاب الفقيه ذات الحالة الثانية يشاركها الإحساس نفسه" لم تكن تدري أن الفقيه الخجول هو أيضا يقاسي ما تقاسيه، وتكوي قلبه نيران الحب المشتعلة، وحاول الشاب أن يتغلب على حبه بالصلاة، وقراءة القرآن والأوراد والانهماك في العبادة، وكان يقرأ كثيرا من الكتب." "أودّ وأرغب أن أتزوّجك...فاهتزّ من أعماقه، وهتف لكن ما العمل؟"[23]

يلاحظ في هذين المقطعين انشطارا لأثر المعنى العاطفي، ويتجسّد هذا الانقسام من خلال التّراجع الملاحظ بين الاعتراف بالضّعف الذي يمثله إحساس أو هوى الحيرة والقلق والاضطراب، وبين نفي هذا الضعف الذي يمثله هوى الحب، وهذا التقابل بين حالة الضعف وحالة القوّة ينتج معنى مضاعفا، ويحيل إلى انشطار ذات الحالة 1 وذات الحالة 2 إلى ذاتين :

-الذات الفردية: تمثّل الفتاة المحبة العاشقة الضعيفة التي تمكّن الحب منها، وجعلها حبيسة الألم والحزن، والأمر نفسه بالنسبة للفقيه الشاب، وهما يتأثران بالهوى فتضعفها الحيرة والقلق.

-**الذات الاجتماعية**: تمثّل الفتاة المحبة المطيعة لوالدها، المستسلمة للعادات والتقاليد من ناحية، والفقيه الشاب المفعم بالبراءة والهيبة والوقار والورع الملتزم بتعاليم دينه الذي يحرّم هذا النوع من العلاقات؛ وعليه يتوجّب عليهما التّحلّي بالجلد والصبر ومقاومة الحب.

-الهوى الثاني: الخداع والحيلة: تلجأ الفتاة الغنية ذات الحالة 1 إلى الخداع والحيلة؛ خداع الأب وخرق العادات والتقاليد كوسيلة لتحقيق موضوع القيمة الارتباط بالفقيه الشاب، وبطبيعة الحال يشاركها في ذلك الفقيه الشاب ذات الحالة2 ""أعرف كل شيء عنك فأنت تملك هذه الدار الصغيرة بعها ، وأنا أعوّضها لك واذهب إلى أبي وادفع ثمنها صداقا لي" ، "فردت عليه إنني واثقة ممّا أقول بع الدار واقبض الثمن وأخبرني حين تتم هذا العمل وأنا سأدبر لك خطّة".[24]

-أمّا **الهوى الثالث: الإغراء:** وهو أسلوب تلجأ إليه ذات الحالة 1 لتزيد من تعلّق الشاب الفقيه بها، "لكنه رأى صورتها المنعكسة على سطح زيت الزيتون الشبيه بمرآة فأشاح البصر فقالت في رقة" لا بل أنظر إلي دون أن ترفع بصرك ستراني هناك في الزيت"، واضطرب وخفق قلبه المتيّم بحبها، ولم يجب فابتسمت ،وظل ينظر في الزيت وكأنها أمامه تواجهه، وردّ بصوت منخفض" هذا حرام "فأجابته في صدق وصوت حنون" لا أود أن أتزوّجك لأنني أحبك "،فذهل الشاب لما سمع لصدقها الذي ينعكس على ملامح وجهها الفتّان"[25]

-المقطع الثالث:"وباع الفقيه الشاب داره.....مرّ في خاطره السؤال هل قرأت كتاب بهوت النسا؟ وكاد أن يجن"[26]

يستشف من هذا المقطع:

أولا:هوى الخضوع والانصياع: يقبل الشاب الفقيه على توجيهات الفتاة الغنية مطبقا إياها دون أدنى نقاش، ومقتنعا قناعة تامة وكله أمل في اللقاء بالفتاة والزواج" وباع الفقيه الشاب داره"، " وسألها أن تبين له ما تودّ منه أن يفعله، لأنه يريد أن يذهب لأبيها ويطلب منه أن يتزوّجها". تتمتّع الفتاة الغنية ذات الحالة 1 بقوة عقلية ومعرفة ومهارة، تجسّدا في قوّة المنطق الإقناعي الممارس على ذات الحالة2 الفقيه الشاب.

ثانيا:هوى اليأس وخيبة الأمل: يعتري الشاب الفقيه الذي يضطرب، وتنتابه أحاسيس متشابكة ظانّا أنه قد خدع وخسر كلّ شيء " فصعق لما سمع ولما رأى فأخذ يردد مشدودا.:"غير معقول هذا غير معقول، لقد لعبت بي الفتاة وسخرت مني، آه من النساء."، ورويدا رويدا تأكد مما حدث وكأنّه أحداث أسطورة من الأساطير يا للفظاعة لقد باع داره وخسر كل ماله، وتزوّج هذا الشيء المسكين القبيح الذي يفترض أنه امرأة وأخذ يفكر ،مرّ في خاطره السؤال هل قرأت كتاب بهوت النساء هل قرأت كتاب بهوت النساء؟ لكن أيصل الأمر إلى هذه الدرجة هذا غير معقول وكاد أن يجن".[27]

-المقطع الرابع: "وخرج من داره، ووقف تحت نافذتها يودّ أن يصرخ.....وكان دائما يقول لها: لقد قرأت كتاب بهوت النسا، يا له من كتاب"[28].

يعبر هذا المقطع بطبيعة الحال عن نهاية المسار ويفضي إلى:

هوى الغضب: يحس الفقيه بغضب عارم لمّا أدرك أنه تزوج فعلا من امرأة كسيحة مشلولة..." وخرج من داره ووقف تحت نافذتها يود أن يصرخ ويصيح :" أيتها المحتالة الخداعة"، "فتحت النافذة وأطلت عليه، وهم أن يهتف بها ويسبها وينفجر غاضبا"[29]

هوى الفرح والسرور: يعتري كلا من الفتاة والشاب هذا الهوى لمّا تنجح الحيلة، ويؤمّن المال فيصبحا زوجين " وتزوجها وعاشا سعيدين وكان دائما يقول لها لقد قرأت كتاب بهوت النساء يا له من كتاب__! "[30]

هوى الصدق: يتبدى هذا الهوى في انصياع الفقيه لتوجيهات الفتاة، فهمّه الوحيد هو الزواج منها، وحبّه لها صادق بعيد عن الطمع، خاصة حين تطلب منه الفتاة وعدا بالزواج: لكنها لم تدعه سوى لحظات قصيرة حتى قالت له:"عدني أن تتزوجني وأنا أنقذك من زوجتك القبيحة "، فاندفع يقول لها " أعدك ! هذا غير معقول ألم أبع الدار وهي كل ما أملك ورضيت أن أدفع ثمنها صداقا ونفذت أوامرك، أنا لا أصدقك ولا أفهمك لقد أسات إلي وسخرت مني." " فقالت له:" اذهب إلى أبي واخطبني وعندئذ سأعطيك الذهب لتقدم منه الصداق لأبي" ، فهتف من قلبه " أي ذهب ألم تتأكدي من حبي بعد، لقد أحببتك منذ وقت طويل وفاض حبي حين رأيت

صورتك في زيت الزيتون، وبعت داري ونفذت أوامرك وأنا أسير حبك ،و ليس لي أمل في الحياة ،ولا أحلم إلا بالزواج منك، خذي الذهب" . فرددت بصوت مؤثر حنون:" لقد تأكدت من حبك" [31].

2-البرنامج السردي للبرنامج الاستهوائي:

عمد البحث إلى استقصاء ملامح البرامج السردية المسيّرة للحكاية، قصد التفصيل في القص وتبيان معالمها بتوضيح علاقة الشخصيات ببعضها البعض، وليتسنى استجداء الأهواء المتعلقة بهذه العلاقات، يبدو جليّا أن لحكاية "بهوت النسا" برنامجا رئيسيا متعلقا بقصة حب **الفتاة الغنية والشاب الفقيه الفقير** وزواجهما، وبرنامجين سرديين ملحقين: الأول: يخص **بيع المنزل وزواج الشاب الفقيه من ابنة التّاجر الغني المشلولة** ، الثاني: يخص **الانفصال عن الفتاة المشلولة وتحصيل المال**.

-البرنامج السّردي الرئيسي للحكاية:

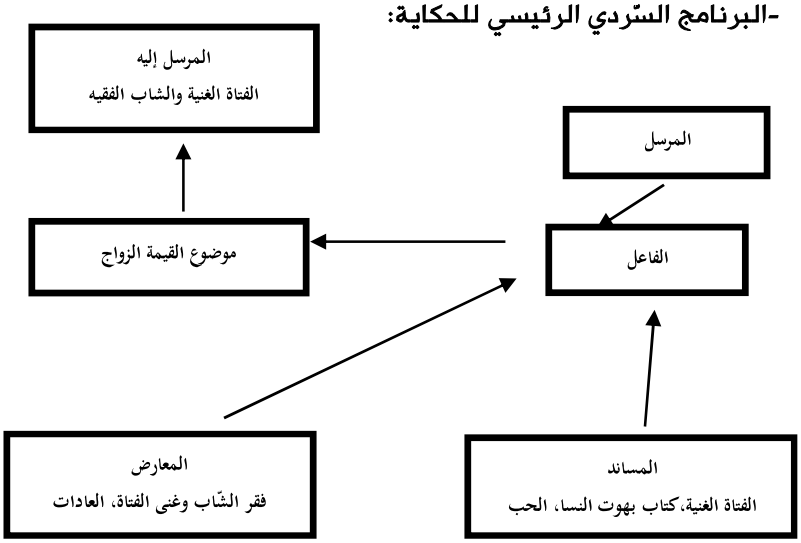

1-**المرسل/المرسل إليه(محور الإبلاغ)**: دور المرسل (الفتاة الغنيّة) هو إقناع العامل الذات الشاب الفقيه" واشتعل الحب في قلب الفتاة فتغيّر حالها، وعافت الطعام، وكثر شرودها، وأصابها الوهن، واعترفت لجاريتها بما تقاسيه من ضنى الحب وعذابه " "وظلت الفتاة تراقبه، وتتبع خروجه ودخوله وحركاته وسكناته، وكانت دائما تحييه في الصباح ، وتقرأ السلام، وتنتهز الفرص لتراه" "أودّ وأرغب أن أتزوّجك...فاهتزّ من أعماقه، وهتف لكن ما

العمل؟"، أما المرسل إليه (**الشاب الفقيه والفتاة الغنية**) فهما يشكلان العامل المستفيد من الموضوع (اللقاء فالزواج)، ولهذا فإنّ محفله يكون في النهاية.

2- **الذات/الموضوع (محور الرغبة):** يشكل هذا الزوج قطب الرّحى في النموذج العاملي، إنّه يشكل محور الرغبة أي أن العامل الفاعل (**الشاب الفقيه**) يرغب في موضوع القيمة (الزواج من **الفتاة الغنية**). "كان الشاب الفقيه ذات الحالة الثانية يشاركها الإحساس نفسه" ، "لم تكن تدري أن الفقيه الخجول هو أيضا يقاسي ما تقاسيه، وتكوي قلبه نيران الحب المشتعلة، وحاول الشاب أن يتغلب على حبه بالصلاة، وقراءة القرآن والأوراد والانهماك في العبادة، وكان يقرأ كثيرا من الكتب." ويكون هذا بعد إقناع العامل الفاعل من قبل العامل المرسل.

3- **المساند/المعارض (يشكل مقولة الصراع)**: نجد أن لأحداث هذا الفيلم حكاية مرتبطة بنوعيتها، فإذا كان المعارض المحتمل (فقر الشّاب وغنى الفتاة، العادات والتقاليد، الدين) "لكن ما العمل؟ إن أباها تاجر غني ، وهو يرفض أن يزوجها إلاّ لشاب ثري من أسرة كبيرة"، أما الفقيه الشاب فلن تشفع له عند أبيها وسامته وسجاياه الطيّبة، وهي لا تقدر أن تعترف بحبها لأبيها"، فإن مجرد التوافق الاجتماعي بين الطرفين هو المساندة المرتبطة بكون قيمي مخصوص، وهذا يعني أنه لن يعترض سبيلهما أي شيء لذلك فالمعارض سيبقى في حدود الإمكان لا التحقق. كما يتجلى أن كتاب بهوت النسا والانصياع التام لتوجيهات الفتاة كفيل بتحقيق الحلم.

-النموذج العاملي بوصفه إجراء: إن النموذج العاملي ،باعتباره نسقا، بنية ساكنة ولا يمكن تحريكها إلا عبر الانطلاق من النسق إلى الإجراء عبر ترسيمة سردية من أربعة مواقع:

أ- **الإيعاز أو التحفيز Manipulation** (فعل الفعل): حيث قام المرسل(الفتاة الغنية) بإقناع العامل الفاعل (**الشّاب الفقيه**) بالحصول على موضوع القيمة (اللّقاء والزواج) لكن يتّضح في حكاية بهوت النسا أن هذا الإقناع في حدود الإمكان لا التحقق فبمجرد الوقوع في الحب يعني التنفيذ من دون اقتناع من قبل العامل الفاعل.

ب- **القدرة** أو **الكفاءة Compétence** (كينونة الفعل): إن الإقناع والاقتناع ليسا كافيين لتحقيق الرغبة بل لابد من تحقق القدرة التي تعني الشروط الضرورية لتحقيق الإنجاز ، وتتلخص في:

- إرادة الفعل: العامل الفاعل فاقدة الإرادة لأن الحب يلزم.
- القدرة على الفعل: العامل الفاعل قادر على ذلك لأنه عانى من عذابات الحب، و بلغ به الشوق خاصة بعد معرفته بحالة الفتاة المشابهة.
- معرفة الفعل: العامل الفاعل التقى بمن سهل له المهمة الفتاة الغنية ورأس مالها كتاب بهوت النسا، وحدوده القيمية تجعله عارفا.

- وجوب الفعل: التنفيذ. هذه الشروط تتطلب برنامجا استعماليا يتوخى الحصول على الموضوع الجيهي المشتمل للقيم الجيهية إنه يرتبط بالبعد الذريعي مادام هو أساس البرنامج الأساس.

ج-**الإنجاز أو الأداء Performance** (فعل الكينونة): ويشكل المرحلة الثالثة في الترسيمة السردية؛ والإنجاز هو كل عملية تحقق تحوّلا لحالة **الشّاب الفقيه،** والفتاة الغنية، كان لتاجر غني ابنة وحيدة و جميلة غاية في الذكاء و الفطنة، تعيش في دار أبيها الكبيرة، ولا تؤنس وحدتها بعد موت أمها سوى جارية أثيرة لديها ،و كان هناك بجوار دارها دار صغيرة يملكها فقيه شاب يسكن فيها ويستخدمها في نفس الوقت كمدرسة صغيرة" مسيد ،يعلم فيها الأطفال مبادئ القراءة والكتابة والحساب و أصول الدين ويحفظهم ما تيسر من القرآن الكريم"، "لكن ما العمل؟ إن أباها تاجر غني ، وهو يرفض أن يزوجها إلاّ لشاب ثري من أسرة كبيرة" وهذه العملية تقتضي عاملا هو الفاعل الإجرائي(**الشاب الفقيه**) ، إننا ننتقل مما هو محين إلى ما هو محقق، والتحقيق يتطلب برنامجا أساسا هدفه الحصول على موضوع القيمة (اللقاء والزواج)، غير أن تحقيق الرغبة لا يكون مفروشا بالورود بل إنه خاضع للبنية الجدلية التي تحكم النموذج العاملي إذ نجد برنامجا مضادا يقوم به فاعل إجرائي معارض(فقر الشاب وغنى الفتاة، العادات والتقاليد).

د- **الجزاء** أو **التقويم Retribution** (كينونة الكينونة): إنّه الحكم على الإنجاز (التوافق الاجتماعي) فإذا كان المرسل هو الذي يحكم على نجاح البرنامج السردي أو فشله، فإنه هنا في حكاية "بهوت النسا" مغيّب مادامت معرفة نجاح البرنامج السردي أمرا مفروغا منه، لأن الفاعل الإجرائي حين علم بحب **الفتاة الغنيّة** تزوّد بالمعرفة التي أطلعته عليها **الفتاة الغنية** نفسها عن طريق كتاب **بهوت النسا**؛ فكان الجزاء والتحفيز سيان.

3-اشتغال الأهواء في الحكاية:

تعكس الحكاية صورة الحب في الحياة الاجتماعية المغربية؛ وهي تجربة إنسانية عاطفية جمعت بين طرفين غير متوافقين اجتماعيا، ما خلق توترا في العلاقة، ونحا بهما إلى استخدام الحيلة لتحقيق اللقاء فالزواج، ترجمت الأهواء حالتهما النفسية التي تراوحت بين **الإحساس بالقوة**، مثّلته الأهواء: الحب، الخداع والحيلة، الإغراء، الفرح والسرور، الخضوع والانصياع. **والإحساس بالضّعف**، تمثّله الأهواء: الحيرة والقلق والاضطراب، الخوف، اليأس وخيبة الأمل، الغضب، الطاعة، الوقار والورع. تتخذ الأهواء بعدها الثقافي ومعناها من خلال إسقاط الأهواء في الحكاية، ويكون المخطّط النظامي للأهواء كالآتي:

1-مرحلة الصحوة الهووية(العاطفية): تتأهب ذات الحالة1 الفتاة الغنية لاستقبال حضور ما يُحْدِث تأثيرا أوّليّا، وتكون حساسيتها مستيقظة، إذ يتجسّد الواقع العاطفي الذي تعيشه الفتاة الغنية من خلال المعاناة النّاجمة عن الوحدة، والحب هو الحضور الذي يؤثّر فيها، ومن هنا تبدأ هذه المرحلة انطلاقا من ملاحظة تغيير في حالة الفتاة، التي كلّما زاد الامتداد

الزمني زادت شدة تأثرها وحبها ورغبتها للقاء الحبيب. تطبع هذه المرحلة الإيقاع السريع المتزايد المنعكس من خلال تتالي الانفعالات والأفعال التي تترجمها، ويمكن تتبع شدة التوتر الذي يسبّبه هوى الحب من خلال المخطط التوتري الآتي:(**مخطط تصاعدي**).

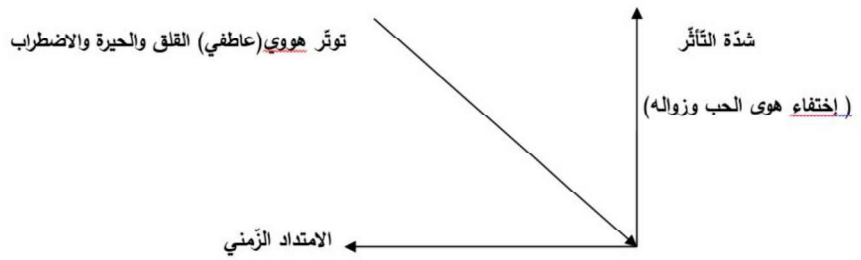

-مخطّط الخمود-

2-الاستعداد: يتحدد نوع الهوى، كما تتشكّل الصورة الهووية(العاطفية)، تعتري ذات الحالة 1 الفتاة الغنية موجة اضطراب وقلق وحيرة، تضعف قواها وتجعلها فريسة للألم والحزن، كلّما راودت مخيّلتها فكرة الوحدة والفراق، يمكن الاستعانة بالمخطط التوتري الآتي لإظهار العلاقة التي تؤول إليها التأثرات مع البعد والفراق: (**مخطط الخمود**).

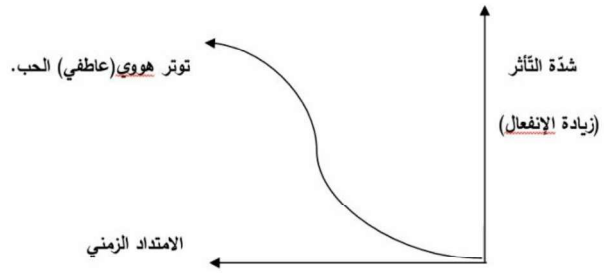

3-**المحور الهووي(العاطفي):** يوضّح معنى المرحلتين السابقتين، وفيها يتم التحول الهووي (العاطفي)؛ فذات الحالة1 الفتاة الغنيّة تملك دورا عاطفيا، يتمثّل في دور الفتاة الحائرة القلقة الخائفة المضطربة، ويزوّدها إحساسها بالقدرة على تخيل مشهد الوحدة في حالة الفراق والبعد عن الحبيب، ويأتي هوى الحب بمثابة المحرّك الذي يزوّد الفتاة بهذا الهوى(القلق والحيرة والخوف).

4-**التحسس:** تتجاوز الفتاة حالة الخوف والاضطراب والحيرة، وتتغلب على ضعفها بعد عثورها على مخلّصها كتاب بهوت النسا الذي يزوّدها بالوسيلة لتغيير وضعيّة الحبيب الاجتماعية؛ فتلجأ للحيلة والخداع ويعدها في ذلك حب الشاب لها وانصياعه التام لتوجيهاتها.

5-**التأيـب (التقيـيم الأخلاقـي):** تتـرجم هـذه المرحلـة نهايـة المسـار، أصـبح الهـوى قـابلا للملاحظة والقياس والتقييم بعد إسـقاطه فـي الحكايـة؛ مـا يكسـبها معنـا خلاقيّـا بالنّسـبة لملاحظ من الخـارج، يجسّـده الأب والمجتمـع والعـادات والتقاليـد والـدين التـي تـثمّن الـزواج (يصـور علاقـة الحـب) بعـد تحقيـق التوافـق الاجتمـاعي الـذي فرضـه الأب وعـادات وتقاليـد ومجتمع الحكاية، ونبذ كل ما يمكنه المساس بها، وبما أن ذات الحالة تدرك تماما هـذا الأمـر عملت على تخطّي

الصعاب باللجوء إلى الحيلة، التي مكنت الشّاب الفقيه من تغيير وضعه الاجتماعي فالزواج من الفتاة، وعليه يستشف التطابق بينهما والتقييم إيجابيّا، وتترجم هذه المرحلة بالمخطط الآتي: (**مخطط التّضعيف**).

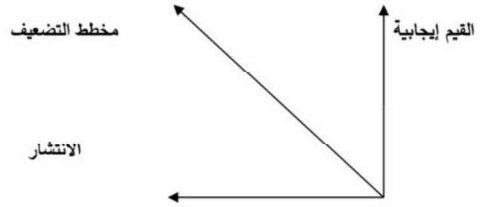

-مخطط انتشار القيم-

ويمكن تلخيص **المخطط النظامي الأهواوي (العاطفي)** في الجدول الآتي:

المراحل	الصحوة الهووية	الاستعداد	المحور الهووي	التحسيس	التأديب
المقـــولات الدلالية	-واشتعل الحب في قلب الفتاة فتغيّر حالها. -وظلت الفتاة تراقبه، وتتبع خروجه ودخوله وحركاتـــــــه وسكناته، وكانت دائما تحييه في الصباح ، وتقرأ السلام، وتنتهز الفرص لتراه.	-لكن ما العمل؟ إن أباها تاجر غنـي - وهـو يـــرفض أن يزوجها إلاّ لشاب ثري من أسرة كبيرة أما الفقيه الشاب فلـن تشفع له عند أبيهـا وسـامته وسجاياه الطيّبة، وهي لا تقدر أن تعترف بحبها لأبيها.	- فردت عليه إنني واثقة ممّا أقول بع الدار واقبض الـــــثمن وأخبرني حين تـتم هـذا العمل وأنا سـأدبر لـك خطّة.	- ورجـع إلـى داره .وأسرع ووقف تحت النافذة وكأنه على ميعاد فقد فتحت الفتاة النافذة في الحال وابتسمت له ورأت أكياس الذهب ثقيلة بين يديه فسألته: هل نجحت الحيلة؟"، فأجابها : " نجحت"	- لقد تأكدت من حبك. - وتزوجها وعاشا سعيدين وكان دائما يقول لها لقد قرأت كتاب بهوت النساء يا له من كتاب!
المخطّطات التوتّريّة	استجابة للمؤثّر	**خمود**	تجاوز الضعف	الجانب الحسي الذي يتجـاوب مـع الهـوى وهو الجانب الملاحظ من المحور الهووي.	**تضعيف**

الهوامش:

1 ينظر: قدور عبد اللّه ثاني: سيميائية الصورة؛ مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005، ص76.

2.Groupe d'entrevernes : analyse sémiotiques des textes, 6éd, PUL,1979 ,p7

3.IBD, p8

4. Voir : Groupe d'entrevernes : analyse sémiotiques des textes ,p13-14

5 . IBD,p9

6 ينظر: هايدي توبل: المبادىء التي كان غريماس يبني عليها السيميائية والنتائج المنهجية التي نجمت عنها، السيمياء والنص الأدبي، محاضرات الملتقى الدولي السادس، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 18.19.20أفريل 2011، ص46.

7 ينظر : برنار توسان: ما هي السيميولوجيا، تر: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000، ص97.

8 ينظر: هايدي توبل: المبادىء التي كان غريماس يبني عليها السيميائية والنتائج المنهجية التي نجمت عنها، مرجع سابق، ص 46.

9 A.J.Greimas : De la modalisation de l'étre , actes sémiotiques, bulletin 9, p9 -10. Repris dans du sens 2 ,Paris, 1983,p 93-102.

10 ألجيردا جوليان غريماس وجاك فونتني: سيميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر وتق: السعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،ط1، 2010، ص9

11 جميل حمداوي: سيميوطيقا الأهواء في الرواية السعودية: رواية اللارهابي20 لعبد اللّه ثابت أنموذجا، محكمة النقد،المغرب،ط1، 2016، ص10.

12 Voir:J.Fontanille et E.Landowski, Nouveaux actes sémiotique,édition Pulim Presse Universitaire de limoges,France,1999,p71.

13 Voir : J.Fontanille :Sémiotique du discours,Presse Universitaire de Limoges, Paris, p200-201.

14 . Voir : J.Fontanille :Sémiotique du discours ,p202-206

15 Voir : J.Fontanille :Sémiotique du discours ,p2015 .208-7

16 Voir : J.Fontanille :Sémiotique du discours, p122-123.

17 IBD,p123-125.

18 مقتطفة من كتاب: يسري شاكر: أجمل حكايات الفلكلور المغربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،ج2006،4، ص149 .

19 المصدر نفسه،ص149.

20 المصدر نفسه، ص149،

21 المصدرالسابق، ص 149.

22 المصدر نفسه، ص149.

23 المصدر نفسه، ص149.

24 يسري شاكر:أجمل حكايا الفلكلور المغربي، ص150.

25 المصدر نفسه، ص 150.

26 المصدر نفسه، ص150.

27 المصدر السابق، ص 150.

28 المصدر نفسه، ص150.

29 المصدر السابق، ص 150.

30 المصدر نفسه، ص 150.

الملحق:

حكاية بهوت النسا:

كان لتاجر غني ابنة وحيدة و جميلة غاية في الذكاء و الفطنة تعيش في دار أبيها الكبيرة، ولا تؤنس وحدتها بعد موت أمها سوى جارية أثيرة لديها و كان هناك بجوار دارها دار صغيرة يملكها فقيه شاب يسكن فيها ويستخدمها في نفس الوقت كمدرسة صغيرة" مسيد يعلم فيها الأطفال مبادئ القراءة والكتابة والحساب أصول الدين ويحفظهم ما تيسر من القرآن الكريم وكانت الفتاة ترى الفقيه الشاب كثيرا فلفت نظرها طوله البادي واستقامة عوده ورجولته الفياضة وصوته الرنان المؤثر وهو يلقي الدرس أو يقرأ القرآن ويعلم التلاميذ وكان تقيا اكتسب احترام الناس وحبهم بسلوكه القويم أدبه الجمّ. ووقعت الفتاة في حبه دون أن تدري و بدأت تنتحل المعاذير فتفتح النافذة المواجهة في الوقت المعين الذي تعرف أنه يخرج فيه أو يدخل إلى داره وتنتهز الفرصة فتحييه قائلة":صباح الخير أو عم مساء "فكان الفقيه الشاب ينير إلى الأرض و يرد التحيّة في أدب ولطف دون أن ينظر إليها.

واشتعل الحب في قلب الفتاة فتغير حالها وعافت الطعام وكثر شرودها وأصابها الوهن واعترفت لجاريتها بما تقاسيه من ضنى الحب وعذابه لكن ما العمل؟ إن أباها تاجر غني وهو يرفض أن يزوجها إلاّ لشاب ثري من أسرة كبيرة، أما الفقيه الشاب فلن تشفع له عند أبيها وسامته وسجاياه الطيّبة وهي لا تقدر أن تعترف بحبها لأبيها.ولم تكن تدري أن الفقيه الخجول هو أيضا يقاسي ما تقاسيه وتكوي قلبه نيران الحب المشتعلة وحاول الشاب أن يتغلب على حبه بالصلاة وقراءة القرآن والأوراد والانهماك في العبادة وكان يقرأ كثيرا من الكتب.

وظلت الفتاة تراقبه وتتبع خروجه ودخوله وحركاته وسكناته وكانت دائما تحييه في الصباح وتقرأ السلام وتنتهز الفرص لتراه. وفي يوم بعد أن حيّته سألته سؤالا غريبا فقالت له" هل قرأت كتاب بهوت النسا؟ "فأطرق كعادته وأجابها" لا الحق أنني لم أقرأ هذا الكتاب "وظلت تسأله كل يوم بعد أن تحيّيه نفس السؤال ويجيبها نفس الإجابة.

وبعد أسبوع أحضرت وعاء من الفخار وملأته بنوع ممتاز من زيت الزيتون وأمرت جاريتها أن تضعه في الصباح الباكر تحت نافذتها فنفذت الجارية الأمر وعندما خرج الفقيه من داره وجد الوعاء المليء بزيت الزيتون أمامه أطلّت من النافذة وهتفت به" صباح الخير "فلم ينظر إلى أعلى وخفض بصره و أجاب" صباح الخير "لكنه رأى صورتها المنعكسة على سطح زيت الزيتون الشبيه بمرآة فأشاح البصر فقالت في رقة" لا بل أنظر إلي دون أن ترفع بصرك ستراني هناك في الزيت"، واضطرب وخفق قلبه المتيم بحبها ولم يجب فابتسمت وظل ينظر في الزيت وكأنها أمامه تواجهه وردّ بصوت منخفض" هذا حرام "فأجابته في صدق وصوت حنون" لا أود أن أتزوّجك لأنني أحبك "فذهل الشاب لما سمع لصدقها الذي ينعكس على ملامح وجهها الفتان، واهتزّ من أعماقه وهتف "لكن ما العمل؟ إنّ أباك لغني وإنني لفقير؟ "فهزت رأسها تنفي هذه الفكرة و قالت له " فضحك في يأس وأجابها "حتى لو بعتها فإن ثمنها لقليل ولن يرضى به أبوك صداقا لك وأنا لا أملك غيرها وهي مدرستي ومسكني " فردت عليه إنني واثقة ممّا أقول بع الدار واقبض الثمن وأخبرني حين تتم هذا العمل وأنا سأدبر لك خطّة."

وباع الفقيه الشاب داره فطلب منه المشتري أن يخليها فرجاه أن يصبر قليلا وخرج في اليوم التالي في الصباح ينتظر أن تطلّ الفتاة من النافذة وحين رآها خفق قلبه فرح أخبرها أنه قد باع الدار ومعه المال، وسألها أن تبين له ما تودّ منه أن يفعله لأنه يريد أن يذهب لأبيها ويطلب منه أن يتزوّجها.ويقدم له ما يمتلك من المال

كصداق وأكدت له أن أباها سيوافق.لكن لأنه يحبها ولا يود أن يفارقها فسيحاول أن لا يتمم الزواج وسيقول له . إن ابنتي كسيحة ومشلولة وقبيحة وقصيرة وخنفاء وثقيلة السّمع ولا تصلح أبدا للزواج فعليه عندما يسمع هذا الكلام أن يرد إنني موافق على الزواج منها وأنا أعلم وأعرف كل هذه العيوب وعليه أن يشهد الشهود على هذا الكلام وعندئذ سيضطر أبوها للموافقة على الزواج .عليه أيضا أن يطلب من أبيها أن يعجّل بالزواج ويحدد الموعد بعد أسبوع.فهز الفقيه رأسه اعجابا بسعّة حيلتها وذكائها.و بيّنت له أن أباها لا يرغب أن يقابل أي خاطب لها في الدار بل يفضل أن يلقاه في الحانوت ووصفت له الحانوت. وقالت" إن أبي مشهورٌ وهو الحاج فلان وحانوته معروفة في السوق."فأسرع الشاب إلى الأب فرحا ألقى عليه السلام وفي خجل طلب منه أن يزوّجه ابنته وأظهر استعداده لدفع مبلغ معلوم هو ثمن الدار الذي يحمله معه.فرد عليه الأب" يا بني لا أمانع ولكن ابنتي كسيحة ومشلولة وقصيرة وخنفاء (نفنافة) وثقيلة السمع وقبيحة الشكل ولا تصلح للزواج أبدا "عندئذ أجاب الشاب في هدوء: إنني راض بكل هذه العيوب و أعلمها وعلى استعداد أن يشهد الشهود بذلك "فأعاد الأب الكلام وأوضح عدم صلاحية ابنته للزواج وبيّن عيوبها مرة ومرات لكن الشاب أصر على طلبه وقدم المال وطلب أن يعجل بالزواج فقال الأب ":إذن فلتتزوّجها الآن "وأرسل لإحضار العدول وكتبوا عقد الزواج واستلم الأب المال ووعد الشاب أن يرسل إليه ابنته في الصباح.

فخرج الشاب من الحانوت لا تسعه الدنيا من الفرحة لقد تحققت آماله وتزوّج محبوبته وكم كانت جميلة وذكية وذات صوت حنون وبسمة فتّانة إنه لا يصدق لقد كانت بعيدة المنال والحلم أصبح حقيقة وقد وعدته أن تعوّض له ما قدمه من مال وهل يهم المال؟.

ولم يستطع أن ينام حتى الصباح وظل مستيقظا يفكر بالسعادة المرتقبة. وفي الصباح الباكر سمع طرقات على الباب ففتحه ورأى اثنين من الحمالين يحملان محفة صغيرة وبادراه بالتهنئة وطلبا المكافاة وأنزلا من المحفة شيئا شبيها بامرأة وأدخلاها الدار فذهل الشاب فقد رأى امراة

قصيرة كسيحة شبيهة بقرد مشلولة وقبيحة أعجوبة من الأعاجيب وسألهم:"ما هذا؟ "فضحكا وأجاباه":زوجتك " وسمعا صوتا أشبه بنهيق الضفادع يقول: " أهلا بك يا زوجي العزيز "، فصرخ:"ماهذا ؟ "فحكى له الحمالان أن فلان التاجر وكان هو التاجر الذي تزوج ابنته قد أعطاهما دينارا نظير أن يوصلا العروس إلى دار زوجها الفقيه فلان الذي تزوجها البارحة ولما كانت كسيحة مشلولة فقد حملاها وأحضراها إليه.فصعق لما سمع ولما رأى فأخذ يردد مشدودا.:"غير معقول هذا غير معقول، لقد لعبت بي الفتاة وسخرت مني، آه من النساء."، ورويدا رويدا تأكد مما حدث وكأنّه أحداث أسطورة من الأساطير يا للفظاعة لقد باع داره وخسر كل ماله وتزوّج هذا الشيء المسكين القبيح الذي يفترض أنه امرأة وأخذ يفكر مرّ في خاطره السؤال هل قرأت كتاب بهوت النساء هل قرأت كتاب بهوت النساء؟ لكن أيصل الأمر إلى هذه الدرجة هذا غير معقول وكاد أن يجن.

وخرج من داره ووقف تحت نافذتها يود أن يصرخ و يصيح :" أيتها المحتالة الخداعة، " فتحت النافذة وأطلت عليه وهم أن يهتف بها ويسبها وينفجر غاضبا لكن ما إن رآها ولمح وجهها المشرق الفتان وأظهرت عيناها الألم لما وجدته فيه من كرب وضيق وحنق فسالت دموعها وبدأ الحنان يغمر وجهها وضحكت في براءة وسألته" : هل قرأت بهوت النساء ؟ "فوجم وسكت وهزّ رأسه كأنه يقول نعم قرأته وأي قراءة إنه العجب العجاب ورفع يده محتارا مبلبل الفكر لقد رآها تبكي ربما ندمت على ما فعلته من جريمة.لكنها لم تدعه سوى لحظات قصيرة حتى قالت له:"عدني أن تتزوجني وأنا أنقذك من زوجتك القبيحة " ، فاندفع يقول لها " أعدك ! هذا غير معقول ألم أبع الدار وهي كل ما أملك ورضيت أن أدفع ثمنها صداقا ونفذت أوامرك أنا لا أصدقك ولا أفهمك لقد أسأت إلي وسخرت مني." فلم تدعه يكمل كلامه وصاحت به " اسمعني لقد فعلت ما فعلت لأنني أحبك أريد الزواج منك.إن أبي غني ولا يرضى بك لذلك دبرت هذه الحيلة لأغنيك فتقدر أن تتزوج بي ويرضى أبي بزواجي منك ."فاستفسرها عما تعنيه فاستطردت قائلة " إن الرجل الذي تزوجت ابنته الشوهاء لتاجر أغنى من أبي والآن عليك أن تذهب إلى سوق الحمير وتشتري حمارا أجرب رخيصا وضع فوقه قفة وضع فيها زوجتك وامش إلى

السوق وناد كما ينادي المتسولون و أطلب الصدقة من أجلها عندئذ سيجيء إليك أبوها و يطلب أن تكف عن التسول بابنته " وبينت له ما يقول لأبيها وأن يرفض أخذ الصداق الذي دفعه ولا يرضى إلا بوزنها ذهبا.ونفذ الشاب ما قالته وحمل زوجته في قفة فوق حمار أجرب وذهب إلى السوق وأمام حانوت أبيها أخذ ينادي ويتقن النداء ويطلب الصدقة من أجل الكسيحة من أجل المشلولة من أجل المرأة الشوهاء فالتف الأولاد حوله وخرج التجار يتعجبون واجتمع الناس يتساءلون ما الخبر وأسرع جار إلى أبيها يخبره فخرج من حانوته يجري وهو غير مصدق ما يرى وأمسك بالفقيه الشاب ورجاه ونهاه عن هذا السلوك الشائن وصاح به " كيف سوّلت لك نفسك أن تعرض ابنتي في الأسواق فوق حمار أجرب داخل قفة وتطلب من أجلها الصدقة وأنا أبوها من أغنى التّجار وأشهرهم "فردّ عليه الشاب الفقيه في ثبات وهدوء وقال" : إنني لم آت عملا قبيحا فهذه زوجتي وأنا أطلب الصدقة لأنني فقير "فصاح التاجر ولكنني تاجر وغني ولي مكانتي وسمعتي وقد بينت لك وأوضحت عيوبها"، وأخذ الناس يزجرون الشاب ويلومونه على فعله القبيح لكن الشاب كان حاسما وحازما فأجاب التاجر: " نعم إنك لم تخدعني و بينت لي عيوب ابنتك وقلت :لي أنها كسيحة ومشلولة وقبيحة وثقيلة السمع ولا تصلح للزواج وقد قبلت كل هذه العيوب ورضيت بها ودفعت لك مبلغا كبيرا من المال كصداق لها وأنا لا أعترض ولا أحاول طلاقها ولكن ألست معي إن امرأة بهذه الصفات لا تصلح للزواج وقد قلت:" أنت نفسك هذا الكلام."

فهتف التاجر " إذن لماذا تزوجتها؟ "، فرد الفقيه الشاب: " لأسترزق بها إنها لا تصلح للزواج فقد كان غرضي أن أسترزق بها أن أتسول بها وخاصة إنني فقير لا أمتلك شيئا أفهمت؟ "فاقتنع الناس وقالوا الحق في جانب الفقيه عندئذ عرض التاجر أن يرد للفقيه الشاب الصداق نظير أن يطلقها لكنه رفض فعرض التاجر مبلغا مضاعفا فلم يرض الفقيه وظل الأب يساوم ويرجو حتى عرض أن يزنها بالذهب فوافق الفقيه وطلّقها وأخذ أكياس الذهب ورجع إلى داره .وأسرع ووقف تحت النافذة وكأنه على ميعاد فقد فتحت الفتاة النافذة في الحال وابتسمت له ورأت أكياس الذهب ثقيلة بين يديه فسألته" : هل نجحت الحيلة؟"، فأجابها :" نجحت " فهبطت إليه وقالت له:" لكنني أخاف فأنت لا تعرف التجار وربما يكون أبوها قد خدعك وغشك وأعطاك ذهبا مزيّفا " فسألها مرتبكا وقد خاف أن يكون أبوها قد خدعه: " وكيف نتأكد من أن الذهب غير مزيف؟ "، فأجابته: " إن جارتي تعرف الذهب خيرا من صانعه أعطني الذهب " فأعطاها الذهب فأخذته ودخلت الدار ووقف ينتظر النتيجة وغابت الشمس ولم تخرج إليه مرّة ثانية لكن بعد مدة أطلت من النافذة فسألها :" هل الذهب حقيقي أم مزيف؟ "، فردت عليه مندهشة :"أي ذهب "فدارت به الدنيا ومر في خاطره السؤال هل قرأت كتاب بهوت النساء وتذكر الحيلة الأولى حين دفعته إلى الزواج بالمرأة الشوهاء وظن أنها ستستحوذ على الذهب ولا ترده إليه لكنه حين أبصر وجهها المشرق وعيونها الصادقة ازدادت حيرته وتبلبلت أفكاره فهتف بها :" باللّه لا تسخري مني ولا تسحقي قلبي أنا لا أفهمك ". فقالت له: " اذهب إلى أبي واخطبني وعندئذ سأعطيك الذهب لتقدم منه الصداق لأبي " ، فهتف من قلبه" : أي ذهب ألم تتأكدي من حبي بعد لقد أحببتك منذ وقت طويل وفاض حبي حين رأيت صورتك في زيت الزيتون وبعت داري ونفذت أوامرك وأنا أسير حبك و ليس لي أمل في الحياة ولا أحلم إلا بالزواج منك خذي الذهب ". فرددت بصوت مؤثر حنون:" لقد تأكدت من حبك " وأعطته الذهب وذهب إلى أبيها ودفع المهر الغالي، وتزوجها وعاشا سعيدين وكان دائما يقول لها لقد قرأت كتاب بهوت النساء يا له من كتاب__!